OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

ضوابط تدبر القرآن بين عبد الرحمن حبنكة الميداني، وأبو الحسن علي الندوي، وطه جابر العلواني: دراسة مقارنة

Guidelines for Contemplating the Quran between *Abd al-Rahmān Ḥabnakah al-Mīdānī, Abū al-Ḥasan ʿAlī al-Nadwī* and *Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī*: A Comparative Study

Hussain Ibrahim
PhD Scholar, Department of Tafsir and Quranic Studies, International Islamic University, Islamabad
Dr. Shah Junaid Ahmad Hashmi
Associate Professor, Department of Tafsir and Quranic Studies, International Islamic University, Islamabad

Abstract

The Holy Quran is a message of civilization, a book of religion, and a way of life. A nation can only progress and live in harmony with other civilizations and nations by adhering to it. Otherwise, ignorance and backwardness will accompany it, along with the loss of its identity, the extinction of its civilization, and the loss of its religion.

The question that arises is the best methodology for dealing with the Quran. The methodology outlined by the Quran for dealing with it is the methodology of contemplating its verses.

Our esteemed interpreters from the early generations laid down various methodologies for dealing with the Quran through their contemplation, in light of the challenges of their times and regions. This enables us to benefit from the teachings and guidance of the Quran in the modern era. Contemplation of the Quran is an ongoing process, adapting to the needs of each era and society, to connect our

CC BY

nation to the strong bond of Allah and derive solutions for contemporary issues and face current challenges.

Therefore, the focus of this study is on some of the prominent contemporary interpreters through their books in Quranic studies and contemplation. These figures are: Abdul Rahman Habnaka al-Midani (died: 1978), Abu al-Hasan Ali al-Nadwi (died: 1999), and Taha Jaber al-Alwani (died: 2016).

The study aims to examine the proposed methodologies of contemplation among them and extract the key features.

Keywords: Contemplating the Quran, Guidelines, *Abd al-Rahmān Ḥabnakah al-Mīdānī, Abū al-Ḥasan ʿAlī al-Nadwī , Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī*

المقدمة:(التعريف بالموضوع)

إن القرآن الكريم رسالة حضارة، وكتاب دين، ومنهاج حياة، ولا يمكن للأمة أن تتقدم وتعيش مع الخير في ركب الحضارات والأمم إلا بالتمسك به. وإلا فإن الجهل والتخلف يلازمانها بالإضافة إلى تضييع هويتها واندثار حضارتها وسلب ديننا.

ولكن السؤال المطروح أمامنا يكمن في المنهجية المثلى في التعامل مع القرآن الكريم. فالمنهج الذي رسمه القرآن الكريم للتعامل معه إنما هو منهج التدبر في آياته، حيث يقول سبحانه وتعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[1]، وقوله سبحانه وتعالى: "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ".[2]

ولقد رسم مفسرونا الكرام في الصدر الأول مناهج متعددة للتعامل مع القرآن من خلال تدبرهم وفي ضوء التحديات الموجودة في عصورهم وأمصارهم، الأمر الذي يتسنى لنا به الاستفادة من تعاليم القرآن الكريم وإرشاداته في العصر الحديث. وتدبر القرآن الكريم عملية مستمرة حسب مقتضيات كل عصر ومصر وذلك لربط أمتنا بحبل الله المتين واستنباط النوازل المعاصرة ومواجهة التحديات الراهنة. وضوابط تدبر القرآن الكريم هي المبادئ والقواعد التي يجب اتباعها عند محاولة فهم معاني القرآن الكريم والتفكر فيها بعمق. التدبر ليس مجرد قراءة النصوص، بل هو عملية تفكير وتفهم لمعاني الآيات وتطبيقها في الحياة العملية. فنذكر في هذا البحث الضوابط الأساسية لتدبر القرآن الكريم عند عبد الرحمن حبنكة الميداني (المتوفى: 1978م)، وأبو الحسن علي الندوي (المتوفى:1999م)، وطه جابر العلواني (المتوفى:2016م) لدراسة المناهج التدبرية المقترحة لدى هؤلاء

واستخلاص هذه المعالم. وقد تم عنوان الدراسة ب: "ضوابط تدبر القرآن بين عبد الرحمن حبنكة الميداني، وأبو الحسن علي الندوي، وطه جابر العلواني" (دراسة مقارنة) وبالله التوفيق.

أسباب اختياره: هذا الموضوع مع كونه يتوافق مع رغباتي وميولي اخترته للأسباب التالية:

- **التطبيق والممارسة لمفاهيم التدبر عند هؤلاء الأعلام، وكيفية أخذ الفائدة منها.**
- القرب الزمني لهؤلاء الأعلام، وجدة المادة في كتبهم، والتي لها علاقة وثيقة بواقعنا الحاضر.
- الارتباط الوثيق لهذا الموضوع بتخصصي حيث علاقته المباشرة بالقرآن الكريم.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين، وخاتمة، كما يأتي:

أما المقدمة ففيها التعريف بالموضوع، وأهميته، وخطته، وأما المبحث الأول ففيه التعريف بالأعلام الثلاثة؛ وفيه ثلاثة مطالب، في المطلب الأول التعريف بعبد الرحمن حبنكة الميداني (المتوفى:1978م)، وفي المطلب الثاني التعريف بأبي الحسن علي الندوي (المتوفى:1999م)، وفي المطلب الثالث التعريف بطه جابر العلواني (المتوفى:2016م). وفي المبحث الثاني ضوابط تدبر القرآن الكريم عند هؤلاء الثلاثة، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول ضوابط تدبر القرآن الكريم عند عبد الرحمن حبنكة الميداني، وفي المطلب الثاني ضوابط تدبر القرآن الكريم عند أبي الحسن علي الندوي، وفي المطلب الثالث ضوابط تدبر القرآن الكريم عند طه جابر العلواني. وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج.

المبحث الأول: التعريف بالأعلام الثلاثة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني (المتوفى:1978م).

هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم حبنكة الميداني، وُلد رحمه الله في عام 1345هـ الموافق لعام 1927م في حيِّ الميدان من مدينة دمشق لأب من كبار علماء دمشق، هو فضيلة العلامة المجاهد المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني.[3]

نشأ رحمه الله في بيت جده مرزوق وعاش في كنفه إلى أن جمع الله شمل أبيه بالعائلة-بعد أن كان لاجئا في الأردن بعد توقف الثورة السورية- والتي كان ينفق عليها الحاج مرزوق بما يعود عليه من تربية الأغنام واستثمار أصوافها وألبانها وما ينتج عنها.[4]

أما عن حياته العلمية فقد كان للبيئة الداخلية والخارجية أثر في نبوغه العلمي؛ فقد نشأ رحمه الله في بيتٍ أهله ما بين عالم مفكر مجاهد تمثل بأبيه، أو محب للعلم وأهله، ساع في خدمته تمثل في أمه وجده. فوالده الشيخ حسن نشأ في بيتِ والده الحاج مرزوق في أسرة بدوية محبة للعلم والعلماء، أنهى المرحلة الابتدائية في مدرسة في حدود الشام القديمة ثم لازم العلماء والشيوخ وأخذ عنهم علم اللغة والفقه والأصول والعقيدة وغيرها من العلوم،[5] وكان حاد الذكاء حاضر الذهن جريئاً في الحق صُلباً ثابتاً في مواقفه،[6] عرضت عليه الدولة منصب شيخ الإسلام والقضاء في عهد الوحدة بين مصر وسور يا فرفض ذلك. أسهم في تأسيس رابطة العلماء بدمشق، وكان أمينها العام، ثم صار رئيسها بعد وفاة الشيخ مكي الكناني[7] وتوفي رحمه الله عام ثمانية وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد.[8]

نشأ الشيخ إذاً مع العلم والدعاة، ولازمهما مبكرا تحت عناية والده ورعايته، والذي كان أول شيخ لازمه وأخذ عنه. بدأ العلم صبياً صغيرا في مدرسة وقاية الأبناء الابتدائية، ثم التحق بعد ذلك بمعهد التوجيه الإسلامي الذي أسسه والده، وفي هذا المعهد نال الشيخ قسطه من العلم والمعرفة، وكان هو والمنتسبون إليه يعتقدون أن الطريقة المتبعة فيه هي الطريق المثلى لتخريج كبار العلماء المحققين القادرين على حل المعضلات والرجوع إلى المصادر واستخراج كنوز العلم منها مع الضبط والتحرير والتدقيق، وكان والده يكلف طلابه ويلزمهم بإعطاء دروس عامة ومواعظ للناس في المساجد ويدربهم على الخطابة أمام الجماهير.[9]

وهكذا سار الشيخ عبد الرحمن برعاية والده وتعليمه وتدريبه، حتى تخرج من المعهد سنة ألف وتسعمائة وسبع وأربعين وله من العمر عشرون عاماً لم يتجاوزها، وصار مدرساً فيه لمواد مختلفة لمدة ثلاث سنوات ثم انتسب بعدها إلى كلية الشريعة في الأزهر الشريف والتحق بالسنة الثالثة، وتخرج منها ثم حصل على شهادة العالمية مع إجازة في التدريس. وفي عام ١٩٦٠ م أُسندت إليه إدارةُ التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين، وكان عليه مواجهة أمرين: نظام منهار للتعليم الشرعي هذا أولاً، أما ثانياً فهو نظام سياسي يحارب كل ما يمت للإسلام بصلة. فبدأ - رحمه الله- بالجانب الإداري فرسم هيكلاً ينطلق منه إلى التكامل، ثم تلا ذلك بطائفة من المناهج والأنظمة العلمية لم تلبث أن أخذت سبيلها إلى التنفيذ.[10]

مصنفاته:

تشهد المكتبة العلمية التي تركها الشيخ له بغزارة العلم والمعرفة، فقد كتب - رحمه الله - في جوانب متعددة مما يصعب حصره هنا، فقد كتب فيما يتعلق بالقرآن كتباً كثيرة أشهرها مثلا: "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل"، وتفسيره المعروف ب "معارج التفكر ودقائق التدبر"، و"أمثال القرآن وصوره من أدبه الرفيع". و"البلاغة العربية أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها"، و"ديوان ترنيمات إسلامية(شعر)" و"كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة"، و"أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير الاستشراق الاستعمار"، و"مكايد يهودية عبر التاريخ"، و"صراع مع الملاحدة حتى العظم"، و"الكيد الأحمر (دراسة واعية للشيوعية)"، و"العقيدة الإسلامية وأسسها"، و"الأخلاق الإسلامية وأسسها"، وغيرها. ومن الملاحظ على مؤلفاته التوسع في الكتابة والتحليل والاستدلال والاستنباط بالإضافة إلى سهولة العبارة وحسن التبويب والتنظيم والتنسيق مما يسهل على القارئ قراءتها وفهمها.[11]

وفاته:

لقد كان رحمه الله عالماً ربانياً جليلاً، صاحب همة وقلم، كتب فأبدع، وعمل فأنتج، حتى وافته المنية بعد أن ابتلي بسرطان القولون ووفاة زوجته، وكان ذلك عام ألفين وأربعة الموافق27 جمادي الثانية، 1425هـ، ودفن في مقبرة الجورة في بحي الميدان، فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير.[12]

المطلب الثاني: حياة الشيخ أبي الحسن علي الندوي:

هـو الأديـب، المفكـر، الكبـير، والكاتـب القـدير، والداعيـة الإسلامي، الإمام العلامة السيد أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي، وينتهي نسبه إلى السيد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.[13] كما ينتهي نسب جدته من جهة والده إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهكذا ينتهي نسب أمه أيضا إلى نفس السلسلة، فهو نجيب النسب من جهتي الأب والأم.[14]

ولد الشيخ أبو الحسن علي في اليوم السادس من شهر محرم الحرام عام: 1333ه الموافق: 1914م بقرية "تكية كلان" بمديرية "راي بريلي" الولاية الشمالية "أتر برديش" من بلاد الهند.[15] في أسرة عريقة ذات فضل وعلم، وهي أسرة عربية الأصل ترجع جذورها إلى سيدنا حسن بن علي رضي الله عنهما، ولذلك اشتهرت بالأسرة الحسينية. وهي ما زالت تحافظ على نسبها وصلتها بأصلها العربي وإن كانت عيشتها في الهند منذ قرون.[16]

بدأ الشيخ الندوي دراسته في كنف والده في وقت مبكر من طفولته، حيث ختم القرآن الكريم، وتعلم اللغة الأردية، ثم بعد ذلك، تعلم اللغة الفارسية على يد معلم بارع ماهر الشيخ محمود علي رحمه الله. كما تعلم الخط وأتقنه على يد أحد الشيوخ.[17]

وبعد وفاة أبيه العلامة عبد الحي عام: 1341ه، أخذه أخوه السيد عبد العلي الحسني برعايته. فعهد بتعليمه اللغة العربية إلى الشيخ خليل بن محمد الأنصاري اليماني[18]-احد جهابذة اللغة العربية في زمانه-، فبدأ الشيخ الندوي عنده بدراسة مبادئ الصرف والنحو وبعض الكتب العربية الأخرى، مثل: "الطريقة المبتكرة" و"مدارج القراءة" و"كليلة ودمنة" إلى أن تمكن من التكلم باللغة العربية. ولم يتجاوز الشيخ الندوي الثانية عشرة من عمره إلا درس بعض الكتب العربية القديمة، مثل: "نهج البلاغة" و"دلائل الإعجاز للجرجاني" و"مقامات الحريري" والقصائد العشرة حتى أصبح يتكلم العربية بطلاقة.[19]

ثم التحق الشيخ الندوي في أوائل شهر أغسطس عام 1927م بجامعة لكناؤ بقسم الأدب العربي، ولم يجاوز الرابع عشر من عمره، وكان أصغر الطلاب سنا بالجامعة، ونال هناك شهادة "فاضل أدب" بتفوق، وحصل على الميدالية الذهبية عام: 1929م.[20]

والتحق في عام: 1929م بدار العلوم ندوة العلماء، ودرس بها علوم الحديث على الشيخ العلامة حيدر حسين خان الطونكي شيخ الحديث بدار العلوم- ولازمه سنتين كاملتين، فقرأ عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي، وأخذ منه الإجازة بخط يده.[21] وقرأ بعض كتب الفقه في دار العلوم لندوة العلماء على الشيخ الفقيه المفتي شبلي الجيراجبوري الأعظمي، كما تلقى تفسير سور مختارة من شيخه الأستاذ خليل الأنصاري وأخذ تفسير السور الأخيرة من القرآن الكريم عن الأستاذ خواجة عبد الحي الفاروقي وبعض الدروس في الفلسفة عن العلامة السيد سليمان الندوي.[22]

آثاره العلمية: وترك أثاراً عليماً منها: **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، وربانية لا رهبانية، والمسلمون في الهند، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وروائع إقبال، ومن رجالات الدعوة، وإلى الإسلام من جديد، وغير ذلك.**

وفاته: وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، 23رمضان (1420هـ)، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وفي آخر يوم من السنة الميلادية التي يعتبرها الكثيرون نهاية القرن العشرين، وقبل صلاة الجمعة، وقد توضأ الشيخ واستعد للصلاة، وشرع في معتكفه يقرأ سورة الكهف من كتاب الله تعالى، كما تعوّد كل جمعة، وافى الأجل المحتوم الداعية الرباني عن عمر يناهز 86 عاما، فرحمة الله تعالى عليه وعلى علماء الأمة المبجلين.[23]

المطلب الثالث: حياة الشيخ طه جابر العلواني:

هو مفكر وفقيه إسلامي عراقي الدكتور طه جابر العلواني كان رئيس المجلس الفقهي بأمريكا، ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بهرندن، فرجنيا، الولايات المتحدة الأمريكية. ولد طه جابر العلواني في مدينة الفلوجة بالعراق سنة 1935م في عائلة ميسورة، إذ كان والده يعمل في تجارة الحبوب والصوف والسمن، ويمتلك منزلاً كبيرًا يتسع لأسرته ولأسرتي أخويه. ورغم أنه لم يكن لوالده سوى إلمام بسيط بالقراءة والكتابة لا يتجاوز تلاوة القرآن الكريم، إلا أنه كان واسع الأفق رحب الصدر، فعاش الدكتور طه طفولته المبكرة في وسط عائلي خالٍ من التعصب، يلتقي فيه السنة والشيعة وشيوخ العشائر.[24]

ورغم أن سكان مدينة الفلوجة كانوا آنذاك – أي في الخمسينات من القرن العشرين- من قبائل عربية معروفة، يعتزّون بانتماءاتهم العربية، ويعتزون بكونهم من أهل السنة، ولكن عشيرة "البوعلوان" التي ينتمي إليها الدكتور طه العلواني كانت منقسمة بسبب الهجرة إلى قسمين: قسم يعيش في منطقة الفرات الأوسط، ومناطق أخرى تابعة لمحافظة بابل، وهؤلاء قد غلب عليهم المذهب الشيعي، والقسم الآخر بقي على مذهب أهل السنة، ويقطنون في محافظة الأنبار كالرمادي والفلوجة.[25]

تمثل أسرة الدكتور طه برعاية والده قاسمًا مشتركًا بن الاثنين، ويُعدُّ بيته دارَ ضيافة لكل من يأتي من أبناء القبيلة وشيوخها. ويقول الدكتور طه في "اللقاءات": إنه كان كثيرًا ما يستمع إلى النقاش الهادئ في بعض القضايا المذهبية مشوبًا بالضحك والسخرية والقبول من الطرفين، دون أن يشعر أيّ منهما بأيّ حساسية، إلا أن مثل ذلك الانفتاح عادة ما يصل حدّه الأخر عند عتبة الزواج، حيث يكون القرار للعائلة. فما أن بلغ الدكتور طه سنّ الرشد إلا وقد كان عليه أن يتزوج ابنة عمه الحاج فياض العلواني وفقًا لتقاليد العائلة وقرارها. وقد رزق من تلك الزيجة والتي استمرت عقودًا طويلة بنتن هما رقية، وزينب، وولده أحمد.[26] وعلى حسب تقاليد العائلية في العراق وتماسكها الداخلي، كان الحرص على تعليم الأبناء دون البنات، فذهب الدكتور طه إلى «الكُتَّاب » كعادة أقرانه، حيث تعلَّم القراءة والكتابة، وفقًا لطريقة التعليم في تلك الفترة.

ثم التحق بمدرسة الفلوجة الابتدائية، واجتاز امتحان القبول بالسنة الثانية، بدلًا من السنة الأولى، مما جعله مؤهلاً لأن يقضي في المدرسة الابتدائية خمس سنوات، بدلاً من ست. وعندما التحق بالمدرسة الثانوية في السنة الدراسية 1949م / 1950م لم يكن قد تجاوز الثالثة عشر من عمره، مما يدل على رغبته في تحصيل العلم والقدرة عليه.[27]

فالتحق طه العلواني بالمدرسة العلمية بمدينة الفلوجة عام: 1948م، وكانت هذه المدرسة فريدة من نوعها تسير على نظام الشيخ والأستاذ الواحد حيث يعلم الشيخ طلابه قراءة القرآن تلاوةً وتجويدًا مدة شهرين، ثم ينتقل إلى تعليمهم مبادئ علميّ الصرف والنحو، ثم إلى مبادئ علميّ الفقه والأصول؛ فينتقل بالطالب من مرحلة إلى أخرى بسهولة ويسر، كما ينتقل من علمٍ إلى آخر، فيعلمهم المنطق، والحديث، والتفسير، والبلاغة، والعروض.[28]

وكان من حسن حظ طه جابر العلوانى أن قام الشيخ عبد العزيز السامرائي على تقليص برنامج الثانوية، الذي كان مقسمًا على اثني عشرة سنة، إلى ثلاث سنوات، وقد استطاع طه جابر أن يكمل هذا البرنامج في ثلاث سنوات بالفعل عام 1952م.

ثم توجه نحو بغداد بحثا عن العمل حتى صار إماما وخطيبا هناك، وقد حاول الشيخ خلال هذه الفترة أن يلتحق بالأزهر لإكمال دراسته، لكن توتر العلاقة بين مصر والعراق دفعته إلى انقطاع دراسته لمدة عامين، مما أدى إلى تأخير حصوله على درجة البكالوريوس من كلية الشريعة في الأزهر إلى عام: 1959م.[29]

ولما رجع الشيخ طه إلى العراق بشهادة علمية من الأزهر ازداد عدد المستمعين له كخطيب مسجد. وحاول أن يظل محافظًا على موقف الحياد تجاه الأحزاب والتوجهات الفكرية السائدة آنذاك، لكن اشتعال الساحة السياسية أخرجه من منطقة الحياد، ودفعه تلقائيًا نحو التيار الإسلامي العريض، إذ يرى أنه لا يوجد حدّ فاصل بن العمل السياسي والعمل الدعوي؛ وبخاصةً وهو يشاهد صعود الشيوعيين إلى الساحة السياسية محملين بموقفهم المعادي للإسلام والمؤيد لإقامة دولة إسرائيل، وتزامن انتماؤه إلى التيار الإسلامي مع تأسيس "الحزب الإسلامي العراقي" في عام 1960م ، فاتصل به قادته ليكون ضمن أعضاء اللجنة المركزية، لكنه تردّد في أول الأمر ولم يقبل به إلا بعد أن أكدوا له أن الحزب يعمل بشكل قانوني، ولا ينتمي إلى أية جهة سرية، فصار مسؤولا عن المؤتمر الأول للحزب. غير أنه اكتشف بعد فترة أنه وقع ضحية لعملية خداع، فالحزب كان في الواقع يمثل واجهة للإخوان المسلمين، وأن مكتبهم السري كان يديره من خلف ستار.[30] وحصل الشيخ طه على شهادة الدكتوراه من الأزهر الشريف بإشراف الدكتور عبد الغني عبد الخالق[31] عام: 1973م، ورسالته حول تحقيق كتاب "المحصول في علم الأصول للإمام الرازي رحمه الله"، وهو عمل ضخم نشر في ست مجلدات.[32]

ومن إنتاجاته العلمية: خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، ومقاصد الشريعة، والأزمة الفكرية ومناهج التغيير، وإصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، وأزمات الإنسانية والحل القرآني، والأزمة الفكرية المعاصرة، وإصلاح الفكر الإسلامي، وتجربتي مع الحياة السياسية في

العراق، ومعالم في المنهج القرآني، نحو إعادة بناء علوم الأمة الاجتماعية والشرعية، والجمع بين القراءتين، وأزمة الإنسانية ودور القرآن في الخلاص منها، وحاكمية القرآن.

وفاته: توفي الشيخ طه العلواني في 4 مارس 2016م، وكان يوم وفاته هو يوم ولادته، وكان عمره إحدى وثمانون سنة.[33]

المبحث الثاني: ضوابط تدبر القرآن الكريم عند هؤلاء الأعلام:

فضوابط تدبر القرآن الكريم كما أشرنا في المقدمة هي المبادئ والقواعد التي يجب اتباعها عند محاولة فهم معاني القرآن الكريم والتفكر فيها بعمق. والتدبر ليس مجرد قراءة النصوص، بل هو عملية تفكير وتفهم لمعاني الآيات وتطبيقها في الحياة العملية. إليك بعض الضوابط الأساسية لتدبر القرآن الكريم عند الأعلام الثلاثة:

المطلب الأول: ضوابط تدبر القرآن الكريم عند الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني:

القاعدة الأولى:حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن.

على متدبّر كتاب الله أن يبحث عن ارتباط المعنى المستفاد من جملة قرآنية بما تفرق في القرآن من معان تجتمع معه في موضوع واحد ، وبمعاني الآية التي هي منها ، والسورة التي هي فيها . كل معنى جزئي مستفاد من جملة قرآنية له ارتباط بما تفرق في القرآن من معان تلتقي معه في موضوع واحد، وله ارتباط آخر وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية، كما أن وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية ، كما أن الآية ذات ارتباط وثيق بوحدة موضوع السورة.[34]

1- فـال‌ارتـبـاط الـأول - وهو ارتـبـاط مـعـنـى الـجـمـلـة الـقـرآنـيـة - بـمـا تـفـرق فـي الـقـرآن من مـعـان تـجـتـمـع مـعـه فـي مـوضـوع واحـد يـتـطـلـب من الـمـتـدبّـر لـلـنـص الـقـرآنـي أن يـتـتـبـع ما فـي الـقـرآن من نـصـوص ذات دلـالـات تـشـتـرك ولـو بـوجـه من الـوجـوه مـع الـمـعـنـى الـذي يـبـحث عنه في موضوع واحد ، ليكتشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع.[35]

2- الارتباط الثاني - وهو ارتباط معنى الجملة القرآنية بمعاني سائر الجمل في الآية وفي السورة.

إن مثل الجمل القرآنية وما تحمل من معان ودلالات كمثل حبات نفيسة الجوهر ، نظمت في عقد متكامل تمثله فمن قواعد التدبّر الأمثل تدبّر هذه الارتباطات المختلفة ، سواء" أظهر فيها الرابط لفظاً أو لم يظهر، ويتأكد على المتدبّر أن يكتشف الروابط الفكرية بين الجمل المقترنة، ولو كان كل منها يتحدث عن حقيقة من الحقائق منفصلة في الظاهر عن الحقيقة الاخرى التي جاءت مقترنة بها في اللفظ مثال ذلك قول الله تعالى في سورة (الزمر): "خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى"[36] إن الاقتران بين ظاهرة الليل والنهار، وبين تسخير الشمس نوعاً من الترابط موجود في الواقع. والقمر، يدلّنا على أن والبحث العلمي في الكون قد أثبت الترابط بين الشمس والقمر والأرض والجريان، ومعلوم أن الجريان فيه حركة دوران الشيء حول نفسه، ومسير الشيء في مسار. فالليل والنهار ظاهرتان لنظام سير الأرض بالنسبة إلى الشمس.[37]

القاعدة الثانية: حول وحدة موضوع السورة القرآنية:

على متدبّر كتاب الله أن يضع نصب عينيه ضمن أهداف بحثه وتدبره التوصل إلى اكتشاف الموضوع الذي تدور حوله السورة القرآنية، وهذا يستدعي منه أن يبحث بأناة وتفكير عميق بحثاً كلياً شاملاً للسورة، ويتتبع ارتباط آياتها، ومعاني جملها ، بهذا الموضوع، أو بما تفرع عنه من عناصر، وما اتصل به من موضوعات جزئية، وأحكام وشواهد. واستبان لي أن مثل السورة من القرآن كمثل شجرة من الأشجار البديعة المثمرة، أو كمثل كائن حي من الكائنات الراقية، فالشجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصل واحد، ومشتقة منه، والكائن الحي مهما اختلفت صفات أعضائه مجتمع على أصل واحد ومشتق منه ووحدة موضوع النص التعليمي التربوي الرفيع لا تعني انحصار الكلام في جزئية فكرية، ومتابعة البحث في هذه الجزئية من كل الجوانب المتعلقة بها ، فهذه ليست من وظائف النصوص الرفيعة، وإنما هي من وظائف فصول العلوم ، والبحوث الاختصاصية الدقيقة التي قلما يرافقها بلاغة عالية، وأدب كلامي رفيع، وتوجيه تربوي، وأمر ونهي، وترغيب وترهيب، وموعظة وتذكير بل يكفي في وحدة الموضوع للنص التعليمي التربوي البليغ أن يهدف إلى كلية من الكليات الكبرى الفكرية ، وأن تكون فقراته وأفكاره العامة مرتبطة بهذه الكلية، مشتقة منها، أو موصولة بها بوجه من الوجوه، والغرض التعليمي أو التربوي أو البياني البليغ هو الذي استدعى إيراد الفكرة ضمن الموضوع الكلي الذي يدور حوله النص إن السورة القرآنية من الناحية البيانية والمعاني والدلالات التي اشتملت عليها، بمثابة حلية أدبية رائعة فذة، فهي ذات موضوع كلي واحد، إلا أن وحدة الموضوع في كل سورة قد لا تستبين بالنظرة الجزئية، ولا بالنظرة السطحية التي تمر مراً سريعاً على آياتها، وقد لا يتنبه لها الكثيرون، تأثراً بالاتجاه السائد عند المفسرين القدماء، الذين لم يوجهوا عناية كبيرة لهذا الأمر، رغم خدماتهم الجليلة التي قدموها لهذا الكتاب الرباني العظيم. إلا أنه كتاب معجز، لا تفنى أعاجيبه ، وسيظل فيه دقائق معجزة خفية يظهر منها في كل حين من الدهر مالم يكن قد ظهر من قبل، ليظل على كر الدهور كما أراد الله له معجزة البيان الخالد، والتعليم الحق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كره المعاندون والجاحدون، والكافرون، ولو كره الحاسدون وتظهر وحدة موضوع السورة لكل باحث له بعض عناية بتفسير القرآن وتدبّر دلالاته، في قصار السور، وفي المفصل، وفي بعض الطوال. ومن الأمثلة الواضحة سورة (ق) وسورة (يوسف) وسورة (الرحمن) وسورة (الواقعة) وغيرها كثير مما تظهر فيه وحدة موضوع السورة بأدنى تدبر .وقد نظرت في سورة (الرعد) وكتبت حولها دراسة فكرية وأدبية، وتتبعت مضامينها، فتبين لي أنها ذات موضوع واحد، وأن آياتها متشابكة متعانقة حول هذا الموضوع، وأن ما اشتملت عليه من معان جزئية هي مشتقة من الموضوع الكلي للسورة.[38]

القاعدة الثالثة: حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي:

مهما أمكن جمع التفسيرات الجزئية في معنى كلي فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكتاب الله إذا ورد في تفسير نص ذي معنى كلي تفسيرات هي من قبيل التطبيقات أو التفسيرات الجزئية التي تندرج

جميعها وغيرها تحت المعنى الكلي الذي يشملها ، وهذا المعنى الكلي بدلالته الشاملة: صحيح لا رد له ، تشهد لصحته دلالة نصوص قطعيه أخرى ؛ فالأولى حمل النص" على المعنى الكلي العام ، ولا داعي لتخصيصه بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصه حتماً، ولم يرد النص على أنه قاعدة كلية عامة وما في السياق أحد أفرادها. فكثيراً ما يأتي في التفاسير تفسير المراد من الكلمة أو الجملة القرآنية بعدة وجوه، ولدى التمحيص والتحليل والتأمل يظهر أن هذه الوجوه هي من قبيل التطبيقات الجزئية أو المعاني الجزئية لدلالة الكلمة أو الجملة القرآنية ذات المعنى الكلي العام الذي يشملها جميعاً، فهي تصلح لأن تدل عليها جميعاً دون تخصيص بواحد منها أو أكثر.[39]

فمن أمثلة ذلك ما يلي :

أ - جاء في تفسير قول الله تعالى في سورة (التوبة) "انفروا خفافاً وثقالا"[40] عدة وجوه: مثلا: انفروا نشيطين وغير نشيطين، أو انفروا في اليسر والعسر، أو انفروا أغنياء أقوياء وفقراء ضعفاء، أو انفروا مهازيل وسماناً، أو انفروا خفافاً من السلاح وثقالاً منه.

ونقول: ما دام اللفظ يحتمل كل هذه التفسيرات بدلالته الكلية فلا داعي لتخصيص دلالته بواحد أو عدد منها ، والأولى حمله على كل ما ينطبق عليه معنى الثقل ومعنى الخفة ، من الأمور التي ينشط معها المؤمن للخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والأمور المثبطة عنه، دون تخصيص ببعض الجزئيات التي ينطبق عليها معنى الثقل الكلي، ومعنى الخفة الكلي.[41]

القاعدة الرابعة: حول البحث في معاني الكلمات القرآنية:

على متدبر كتاب الله بتعمق أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً، بالرجوع إلى أمهات المعاجم اللغوية . وبالتبصر في مختلف معاني الكلمة واستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبان نزول القرآن وبالنظر فيما ورد من تفسير مأثور والتقيد به إذا صح عن النبي ﷺ. وبالنظر فيما قاله أهل التفسير في معنى الكلمة وفي تفسير المراد منها. ثم يأتي بعد ذلك التبصر الدقيق بمعنى النص القرآني ذلك بشكل عام، مع ملاحظة سياقه في السورة، ويحسن مع النظر في مختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن، فهو قد يكشف للمتدبر الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني، هل دلالتها تدور حول المعنى اللغوي، أو حول المعنى في الاصطلاح الشرعي، ومع الحقيقة أو مع المجاز، أو متنوعة.

وعلى المتدبر أن يلم بالمفاهيم الاسلامية المتعلقة بموضوع النص، ثم بالمفاهيم الأخرى، مع اطلاع على مختلف النصوص حول الموضوع . إن فهم معنى الكلمة القرآنية من أهم العناصر الأساسية لتدبر كتاب الله عز وجل، فمن دون فهم معنى الكلمات القرآنية الواردة في النص الذي يراد تدبّره وفهم دلالاته ، يتعذر الوصول إلى فهم صحيح متعمق لكامل النص . ويبدو واضحاً أن فهم المراد من أي نص كلامي يتوقف على معرفة دلالات المفردات اللغوية الواردة فيه ومن الأمور المهمة أيضاً تتبع المعاني اللغوية للكلمة القرآنية أو المادة اللغوية لها. إن هذا التتبع يهدي سبيل المتدبر إلى الفهم الصحيح إن

شاء الله فقد تستعمل المادة في نص بمعنى، وتستعمل في نص آخر بمعنى آخر كما جاء في الكتاب : (بلي ، يبلو ، نَبْلُو ذكر الإمام الرازي عند قول الله تعالى: "يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ"[42] ما يلي: "قال أبو مسلم[43]: « بلوت » يقع على إظهار الشيء، ويقع على امتحانه ، كقوله تعالى: "ونبلو أخباركم"[44] وقوله: ولنبلونكم قال ابن عمر: يبدي الله يوم القيامة كل سر منها ، فيكون زيناً في الوجوه، وشيئاً في الوجوه".[45]

إن كثيراً من المفردات اللغوية في اللغة العربية يحمل عدة دلالات حقيقية ومجازية، لذلك كان على المتدبر لأي نص قرآني أن يبحث في معاني المفردات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً ، ويتحقق ذلك بالرجوع إلى جملة من أمهات المعاجم اللغوية، ككتاب لسان العرب لابن منظور وكتاب القاموس المحيط مع شروحه، وكتاب الصحاح وكتاب أساس البلاغة للزمخشري و المصباح المنير وغيرها.[46]

القاعدة الخامسة: حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن:

النصوص القرآنية متكاملة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، وليس في أي موضوع قرآني فجوات مهملة، ومن شأن البحث والتدبر المتعمق أن يملأ كل فجوة من صريح نص، أو من فحواه أو إشاراته، أو من محذوف مقدر توجد دلالة عليه. فعلى متدبر كتاب الله أن يتتبع في الموضوع الواحد كل النصوص القرآنية المتعلقة به، ويتدبرها ملاحظاً تكامل دلالاتها، ومستبعداً ما أمكن تصورات التكرار، فالأصل التأسيس لا التأكيد قد يسهل على الناظر في كتاب الله دون تدبّر عميق إذا رأى آيات متفرقات تتحدث حول موضوع واحد، أن يتصور ببساطة أنها قد جاءت مكررة لغرض التأكيد، وأنه لا توجد فروق بينها تجعلها متكاملة في دلالاتها لا مكررة: وبادي الرأي هذا سطحية لا تليق بمتدبر حصيف يتدبر كتاب الله بعمق وروية وبحث مستقص الأطراف الموضوع . كثير من النصوص كنا نظنها مكررة ، وكنا نفهم أن الغرض من تكريرها التأكيد ، وتحقيق أهداف تربوية . لكن البحث العميق أثبت أنها متكاملة مع تحقيق غرض التأكيد والأهداف التربوية. ومن التتبع لكثير من الموضوعات في استقراء ناقص بالنسبة إلي، تأكد عندي أن النصوص القرآنية متكاملة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، وأن كل نص من النصوص الواردة حول موضوع واحد، يشتمل على ما يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع ، ويمتاز ببيان فكرة إذا انضمت مع سائر الأفكار التي أباتتها سائر النصوص، تكامل بيان الموضوع بكل عناصره ، ومن كل جوانبه. كما قال الله تعالى في سورة (الأنعام): "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ"[47] إذا حملنا لفظ الكتاب في الآية على القرآن وهو الأظهر. وكما قال الله تعالى في سورة (الروم): "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ"[48] والمثل في موضوع ما أو جزئية من الجزئيات قد يغني عن ذكر سائر الأشباه والنظائر .ليس معنى هذا أن كل التفصيلات الجزئية التي جاءت في البيان النبوي قد جاءت بوجه أو بآخر في القرآن، بل المراد ان أصول المعاني للموضوعات الدينية قد جاءت في القرآن بوجه أو بآخر، فالقرآن فيه استيعاب لأفكار كل موضوع من الموضوعات التي اهتم ببيانها من الكليات الدينية، أما التكاليف العملية والتطبيقات فقد أحال القرآن٤٠ تفصلاتها علي البيان النبوي القولي والعملي.[49]

القاعدة السادسة: حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض:

من الحقائق الثابتة أن القرآن العظيم لا اختلاف فيه ولا تناقض، لا بين نصوصه بعضها مع بعض، ولا بين نصوصه والواقع، ومن الواقع الحقائق العلمية. فعلى المتدبر لكتاب الله أن يتفكر ويتأمل فيما يبدو له من اختلاف أو تناقض في القرآن، بالنظر في سياق النص سوابقه ولواحقه، ليفهم كل فكرة ضمن حدودها التي تخرجها عما قد يبدو لذي النظر السطحي من اختلاف او تناقض وتنظمها. في سلك موضوع متكامل ومن الحقائق الثابتة أن القرآن العظيم متكامل المعاني ، يتمم بعضه بعضاً ، ويفسّر بعضه بعضاً ، ولا ينقض بعضه بعضاً. ومن الحقائق الثابتة أن القرآن العظيم حق لا ريب فيه فلا يمكن أن يختلف مع الواقع في شيء .كما قال الله تعالى في سورة (النساء): "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا لله".[50] إن كل ما يقال من تخالف أو تناقض أو تضاد في النصوص القرآنية فهو وهم فاسد ، أو ادعاء كاذب ، وأساس الوهم الفاسد فهم خاطيء ، وأساس الادعاء الكاذب مغالطة مقصودة . ويرجع اختلاف النصوص إلى تكاملها ، واحتلال كل منها مساحة من الموضوع العام الذي تتحدث عنه وتعالجه بالبيان. باستطاعتنا أن تقول : ان لكل موضوع مركب من جملة أفكار خريطة ذات أبعاد وحدود ومقاييس . ولكل فكرة من هذه الأفكار رقعة من الخريطة ذات حدود. ويأتي الخطأ من توسيع حدود بعض الأفكار ، حتى تأخذ من رقعة غيرها نصيباً ليس لها . وهذا عدوان فكري على مواطن أفكار أخرى".[51]

والمثال على ذلك في سورة (النساء) قال الله تعالى: "وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"[52]

ففي هذا النص قد يتوهم التناقض بين قوله تعالى: (قل كل من عند الله) وقوله : (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولكن المتدبر الحصيف لكلام الله يلاحظ بالتأمل أن المعنى المراد من النص هو على الوجه التالي: إن ما ينزل بالناس من نعم ومصائب مما يحبون ومما يكرهون هو من عند الله، وبقضائه وقدره، أما الحسنات منها فمن فضل الله، ومن فيض جوده وعطائه، وأما السيئات منها فبسبب من الإنسان نفسه، إما لأن ذنبه هو السبب في استحقاقه العقوبة، وإما لأن تربيته وتأديبه يقتضيان إذاقته بعض ما يكره في حياته من مصائب و آلام، وإما لأن امتحانه لا تستكمل صوره إلا بإصابته ببعض ما يكره. فمصلحة الإنسان نفسه هي التي اقتضت أن يصيبه من الله بعض ما يكره في الحياة.[53]

المطلب الثاني : ضوابط تدبر القرآن الكريم عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي:

الأول: القرآن قطعي غير مشكوك فيه إطلاقاً:

إن أكبر خصائص القرآن الكريم ومزاياه التي هي من دون معجزاته وآياته التي تفوق طوق البشر هو أنه علم قطعي يقيني جازم : "ذلِكَ الْكِتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ"[54] "وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ"[55]، "وَإِنَّهُ لَكِتَبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد".[56] إن هذه

الخصيصة التي يتفرد بها القرآن ، لا يشاركه فيها - بطبيعة أبداً أي كتاب صادر من إنسان ، هذا القرآن هو علم الله الذي الحال - أي كلام بشري، ولا يساميه ولن يكون، ذلك ان متصدر إنه لم يكن يعلم الغيب والشهود، ووسيلة صدوره ونزوله ، هو الوحي الإلهي الذي لا يعترضه شيء من عوارض البشر. إن هذا المصدر بريء من كل نقص واختلال، أو شك والتباس. أو ظن وتخمين، أو تدرج وتطور، أو تعارض واختلاف، وكل ما فيه قطعي يقيني، مرئي منظور، ملتئم جازم حاسم، فليس في علم الله تدريج ولا تطور.[57]

الثاني: القرآن محكم ومفصل:

إن القرآن الحكيم واضح كل الوضوح، محكم كل الإحكام مبين كل البيان، في أصول الدين وكلياته وأسسه ومبادئه وفي جميع الأمور الإنسان التي تمس إليها حاجة الإنسان في فلاح دنياه وسعادته فيها وفي نجاته وسعادته في الآخرة ، لا يحتمل القرآن في ذلك إبهاماً ولا غموضاً ،ولم يدع فيه تفصيلاً و تفسيراً إلا أودعه في: "أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً"[58]، "وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[59]، "وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين"[60] و "ومَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[61] ولكن الإسلام لا يعطي ذلك التصور الضيق للدين الذي تعطيه أكثر الديانات الأخرى، ويعتقد به الصحابها، إنه هنا يضع القاعدة الكلية للإنسان أنه عبد الله، وأنه لا يخرج من هذه العبودية الأبدية في أي مجال من مجالات حياته، وأن جميع أعماله ومهماته حتى القيادة والسلطان الذي يبدو في ظاهر الأمر منافيا للعبودية والاستسلام ليس إلا مظهراً من مظاهر عبوديته المطلقة.[62]

الثالث: القرآن فرقان:

القرآن فارق بين الحق والباطل والخير والشر والنور والظلام ، بل علماً يطلق عليه وهي سمته المميزة التي أصبحت علامة عليه، ويعرف به: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ، لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا".[63] إن الفارق الأصيل والحاجز السميك الذي أقامه القرآن الكريم ، إلى أن تقوم الساعة ، بين الهداية والضلالة، والإيمان والكفر، والإسلام والجاهلية، ورضا الله وغضبه، وبين الظن واليقين، والحلال والحرام، فرق مميز يعجز عن نظيره تاريخ الصحف السماوية والتعاليم الدينية عبر العصور والأجيال، فالفارق الذي أقامه بين التوحيد والشرك - على سبيل المثال - وما استبعد فيه من أدنى إنه فارق يدل على نا يضع القار الاحتمالات وأضعف الشهبات وأخفى المزالق إنه فارق يدل علي إعجازه وأنه من الله: "قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"[64]، "لِيَمِيز اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ"[65]، "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَى عَنْ بَيِّنَةٌ".[66]

الرابع: القرآن مصدر للكتب الإلهية السابقة، ومهيمن عليها

ينبغي عند هذه النقطة أن تلاحظ ثلاثة أمور: محافظ سعادة وفلاح.

1-أن أصول الدين وكلياته الأساسية قدر مشترك بين جميع الكتب السماوية والديانات السماوية ، وقد صرح بذلك القرآن الكريم في عدة مواضع.

2 - أن الصحف السماوية السابقة على القرآن المهيمن ، كانت مؤقتة بزمن محدود ، وبقيت إلى زمن محدود ، فلم تكن فيها صحيفة دائمة البقاء ، ولا مستمرة الحفظ والصيانة.

3- أن القرآن الكريم كتاب الله الأخير ، وهو الصحيفة الأبدية ، الشاملة لأصول الدين كلها، ولن تزال مصونة محفوظة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".[67]

وبعد تسليمنا بهذه الملاحظة الأساسية يتيسر لنا فهم الدعوى مه بين وإدراكها على حقيقتها: أنه مصدق لهذه الكتب، وأنه ميزان لمعرفة صحة تعاليمها الأساسية وثبوتها، ومحك لاختبار مدى أصالتها وسلامتها ، فما وافق منها هذا الكتاب المصدق المهيمن فهو الصحيح المحفوظ، وما خالفه منها أصولاً وكليات فهو المحرف المنحول. والآيات التي صرح فيها بأن القرآن الكريم مصدق للصحف السماوية السابقة كثيرة، وقد ذكرت في الآية التالية صفتاه المميزتان: (المصدق والمهيمن): "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"[68]

الخامس: القرآن يهدي إلى سبل السلام ويخرج الناس من الظلمات:

كما قال عز وعلا: "قَدْ جَاءَ كُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبلَ اللَّهِ وَ يُخْرِجُهُم مِن الظُّلُمَاتِ إلى النور الذي يذكر لا بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم".[69]

وقال تعالى: "الرَّ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ".[70]

إن القرآن الكريم يفتح للحياة الإنسانية بجميع شعبها وميادينها، تلك السبل المستقيمة المستوية الواضحة، التي تخلو من كل المطبات والنتوءات والمزالق والأخطار، ولا تعبر عن هذه السبل أفضل وأجمع من سبل السلام إنها من تلك الكلمات المصطفاة التي لا تفسر بغيرها من الكلمات والألفاظية.[71]

المطلب الثالث: ضوابط تدبر القرآن الكريم عند الشيخ طه جابر العلواني:

القاعدة الأولى: حاكمية القرآن:

ولتوضيح هذه القاعة يرى الدكتور العلوانى أن البداية هنا تكون بوضع حد فاصل بين مفهومين الحاكمية الإلهية وحاكمية الكتاب. فالحاكمية الإلهية قد عرفت في وقت مبكر في التاريخ الإنساني، حين استغلت من قبل الكهنة والملوك والأباطرة، واستعبد من خلالها الإنسان. وجاءت رسالة موسى (عليه السلام)، لتصحيح هذا المفهوم وتضعه في إطار آخر. فاختاره الله وصنعه على عينه، وخاطبه بكلماته؛ ليحرر بني إسرائيل من فرعون الذي طغى، وادعى الألوهية، وقد تم تحريرهم، ولكن بوسائل غير عادية خارقة للعادة، تعتمد على رسول ومعجزات، وشق البحر لإنقاذهم من جيش فرعون، الذي لولا تلك الخارقة لأدركهم وكانت النتيجة أن أزيلت حاكمية الكهان والأباطرة والمشعوذين بحاكمية إلهية حقيقية، يكون الخالق تبارك وتعالى، حاكما مباشرًا في أرض مقدسة على شعب مختار في شريعة إلهية دقيقة: شعب يتمتع بالرعاية الإلهية المباشرة يُعطى كل ما يطلب. أما عندما لم يتحقق بناء الأمة

النموذج، ومل بنو إسرائيل الحاكمية الإلهية المباشرة أعطوا الأنبياء الخلفاء، ثم الأنبياء الملوك والقضاة.

وأما وقد طويت رسالة بني إسرائيل ببعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) فقد نسخت الحاكمية الإلهية بحاكمية القرآن»، وصار القرآن هو المرجع للبشرية. والقرآن يقرأ، ويكتب ويتلى ويتدبر، ويرتل، ويتعقل، ويتفكر فيه، وذلك يعني أن الإنسان هو القارئ وهو المفسر لما يقرأ والمؤول له والقادر على تطبيقه بمنهج يعصم عن الخطأ فيما هو مظنة الالتباس والاختلاف.[72]

القاعدة الثانية: الجمع بين القراءتين:

ويقصد بهذه القاعدة أن قراءة الوحي وآياته، وقراءة الكون وآياته عمليتان متلازمتان. فكتاب الله الموحى أنزل ليقود حركة الإنسان المستخلف في الكون، ويهديه إلى كيفية الوفاء بعهده مع الله تعالى، وتحمل الأمانة بحقها، والقيام بمهمة الاستخلاف على وجهها، والنجاح في اختبار الابتلاء، ومعرفة كيفية تسخير المسخرات وقيادتها في قافلة تسبيح مباركة تكون نتيجتها التمكين للمؤمن في الأرض، وتحقيق الأمن بعد الخوف عليها، والوصول إلى حالة السلام الشامل فيها، وتحويلها إلى بيت آمن للأسرة الإنسانية الممتدة. والجمع بين القراءتين محدد منهاجي هام جدًا في تحقيق القيم القرآنية الحاكمة وتفعيلها. في كتاب رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني.[73]

القاعدة الثالثة: كونية المصدر

أي أن القرآن المجيد كتاب كوني مستوعب للكون وحركته، ومتجاوز له، ولم يكن كالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كتاب مرحلة أو شعب، أو حضارة واحدة، بل كان كتاب سائر المراحل، لم يحده زمن ماضٍ، ولا حاضر، ولا مستقبل. وهو كتاب معجز صادر عن مصدر متعال متجاوز يهدف لإعادة الإنسانية إلى الإيمان بخالقها وبوحدتها الإنسانية ووحدة الكون الذي تعيش فيه.[74]

القاعدة الرابعة: عالمية الخطاب:

أي أن خطاب القرآن لم يكن موجهاً إلى شعب دون غيره، بل تدرج ليصبح خطابًا عالميا يطوي العالم تحت جناحي نوره وهدايته وبرهانه فيكون مصدر الهداية والنور والحقيقة منذ نزوله وإلى الأبد، ولم يخاطب به قوم وحدهم، بل خوطب به البشر كلهم. وما كانت لغته، ولا الزمن الذي نزل فيه، ولا القوم الذي وجه خطابه إليهم في بادئ الأمر، إلا بداية ذلك الطريق الطويل مع البشرية؛ ولذلك لم يوكل حفظه إلى الأحبار والربانيين؛ لينسى من ينسى، ويغير من يريد، ويحرف ذو الغرض، بل تولّى حفظه من نزله على قلب نبيه من داخله بنظمه، وأسلوبه ووحدته البنائية في سياقه، ومناسباته، ثم بأعلى ما عرفته الأمم من وسائل في حفظ أهم وأخطر وثائقها التي تفديها بحياتها إذا لزم الأمر. وهذه دعوى لها وسائل إثباتها وطرق البرهنة عليها، تحدى الله-تبارك وتعالى بها الإنس والجن، وقد عجزوا وثبت عجزهم والتحدي بها دائم مستمر.[75]

النتائج:

فقد وفقني الله تعالى بكرمه ومنته إلى إتمام هذا البحث المتواضع، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، فهو الموفق، وهو الملهم، والهادي إلى الطريق المستقيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج والأمور المستخلصة منه على النحو التالي:

1- تبيّن لي توسع الأعلام الثلاثة (الميداني والندوي والعلواني)، وإلمامهم بشتى أنواع العلوم الشرعية، وأن الأئمة متمرسون في شتى العلوم، ولديهم قدرة فائقة.

2- أن دراسة هذا الموضوع تعطي الباحثَ ملكة النقد والمناقشة بين أقوال العلماء، وأرآئهم، والتعرفَ على القواعد اللازمة لتفسير القرآن الكريم لا سيما في هذا العصر الراهن مما لايخفى ما في ذلك من النفع والفائدة.

3- والتدبر ليس مجرد قراءة النصوص، بل هو عملية تفكير وتفهم لمعاني الآيات وتطبيقها في الحياة العملية.

4- وهذه الضوابط تختلف عند هؤلاء الأعلام فعند الميداني هي عبارة عن ارتباط المعنى المستفادة من القرآن وهذا الارتباط قد يكون بالآية وقد يكون بالجملة، وكذلك الوحدة الموضوعية وهي الآيات المتعلقة بموضوع واحد في آيات شتى، وعند أبي الحسن الندوي ضوابط القرآن هي أن القرآن قطعي غير مشكوك، وكذلك مضامين القرآن تشمل على المحكم والمتشابه، وكذا القرآن مصدر للكتب الإلهية السماوية، وعند طه جابر العلواني ضوابط التدبر هي أن القرآن له حاكمية وأنه مصدر للكتب السابقة، وأن خطابع عام أي أن القرآن عام وشامل للإنسان الآتي إلى يوم القيامة.

5- ومن خاصية منهج الشيخ حسن حبنكه الميداني في تفسيره هو أنه يبحث عن الوحدة الموضوعية، وأن الشيخ أبا الحسن علي الندوي يقارن بين الكتب السماوية مع القرآن الكريم وذكر الترجيح في ضوء الأدلة، ويذكر الحكم والأسرار لآيات القرآن الكريم مع النماذج، وأن الشيخ طه جابر العلواني يركز على الكليات في التدبر وأما الجزئيات فيندرج تحت هذه الكليات، يطبيق الآيات على العصر الراهن أي أن القرآن هو كتاب هداية لكل إنسان إلى يوم القيامة فلا يجوز تخصيصه بسبب النزول.

وأخيراً أحمد الله العلي القدير على توفيقه وتيسيره على إنجاز هذه الرسالة، هذا وإن كنت قصَّرت في بعض الفصول، فأرجو أن يقبل القارئ عذري لأن الكمال لله وحده، وسائلاً المولى عز وجل أن يرزقني وإياكم الإخلاص في العمل الصالح، وحسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار إنه على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

[1]- ص : 23

[2]- المؤمنون 68

[3]- ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر ل جراح: زوجي كما عرفته، ص: 11، الناشر دار القلم دمشق، ط: الأولى.

[4]- الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني لعبد الرحمن حسن الميداني، ص: 64، ط: الأولى.
[5]- ينظر: المرجع السابق، ص: 51-56
[6]- ينظر: المرجع السابق، ص: 69
[7]- العلامة الشيخ محمد بن على بن أحمد بن مصطفى الشافعى الكنانى ثم المكى ، وهى نسبة إلى ميت كنانة ، بلدة بالقليوبية ، ولد سنة نيف وثلاثين ومئتين وألف ، ثم توجه إلى الشام فحفظ القرآن الكريم. ولم يزل مشتغلا بالعلم والإفادة حتى توفي عن نحو ثمانين سنة ليلة الخميس، 2 من ذي الحجة ، سنة 1308هـ، ودفن بالمعلاة. من ويكيبيديا
[8]- ينظر: الوالد الداعية، ص: 74-75.
[9]- ينظر: الوالد الداعية، ص: 140
[10]- بنظر: علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ، 60/3، ط: الرابعة. و زوجي كما عرفته، ص: 19. وكذلك ينظر: موقع "تراجم عبر التاريخ" على الانترنت.
[11] - بنظر: وزوجي كما عرفته للجراح، ص: 53-56، استعرضت الجراح مؤلفات الميداني، ثم عرفت بكل مؤلف تعريفا موجزا. ومعارج التفكر ودقائق التدبر لعبد الرحمن حسن الميداني، 6/1، ط: الأولى، وكذلك ينظر: موقع "تراجم عبر التاريخ" على الانترنت، الرابط: https://tarajm.com/people/69193
[12] - ينظر: مقال بعنوان: منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره "معارج التفكر ودقائق التدبر" ل جهاد محمد النصيرات وعبيدة عبد الحكيم أسعد، تم تصديره في مجلة "دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 40، العدد 2، 2013. من ص: 475 إلى 498. ومعارج التفكر للميداني، 424/15.
[13] - ينظر: في مسيرة الحياة، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، 30/1 وما بعدها، ط: دار القلم دمشق، ط: الأولى، 1978م.
[14] - ينظر: العلامة السيد عبد الحي الحسني للسيد قدرة الله الحسيني، ص: 74، ط: دار الشرق السعودية، ط: الأولى 1983.
[15] - ينظر: في مسيرة الحياة للندوي، 45/1، والتأصيل الإسلامي ل آزادي ص: 33.
[16] - ينظر: الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته للقرضاوي، ص: 31-32.
[17] - ينظر: في مسيرة الحياة، 62/1-63.
[18] الشيخ الفاضل خليل بن محمد بن حسين بن محسن السبعي الأنصاري اليماني ثم المالوي أحد الأذكياء، ولد في بهوبال سنة أربع وثلاثمائة وألف، ونشأ بها وحفظ القرآن، واشتغل على والده مدة طويلة وتعلم في دار العلوم التابعة لندوة العلماء، ونال الشهادة، ومات لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف. انظر نزهة الخواطر ج8 ص1221
[19] -جائزة الملك فيصل العالمية في خمس سنوات، الرياض: الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية، ص: 44، ط: 1983م.

[20] -أبو الحسن الندوي العالم العربي والداعية الحكيم لمحمد أكرم الندوي، ص: 63، ط: دار القلم دمشق، ط: الأولى، 2006م.

[21] - المرجع السابق، ص: 94-95. وص: 64-65.

[22] - أيضا.

[23] - ينظر: https://alomah.net

[24] - ينظر: رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني، للتيجاني عبد القادر حامد، ص: 29، ط: مركز الإسلام في العالم المعاصر، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: الأولى، 2022م.

[25] - المرجع السابق.

[26] - ينظر: رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني، للتيجاني، ص: 29.

[27] - المرجع السابق، ص: 30.

[28] - ينظر: المرجع السابق.

[29] - ينظر: رحلة في الفكر ومنهجية طه جابر العلواني، ص: 33.

[30] - تجربتي مع الحياة السياسية في العراق، سيرة لا ذاتية ولا متحيزة، للدكتور طه جابر العلواني، ص: 91، ط: منتدى المعارف-بيروت- ط: 2015م.

[31] - هو الشيخ الدكتور عبد الغى عبد الخالق، (1908 – 1983)، أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة بجامعة الأزهر. له مؤلفات عديدة، كما أشرف على عدد كبر من طلاب الدراسات العليا، ومن مؤلفاته كتاب «حجية السنة »، وهو رسالته لنيل الدكتوراه. ينظر: رحلة في منجية طه... ص: 42.

[32] - المرجع السابق، ص: 42.

[33]- راجع الموقع "أكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية، رابط الموقع: https://alwani.org/?p=3078

[34] - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الناشر: دار القلم – دمشق سنة النشر1980: 1400 - عدد المجلدا1 .ص9

[35] - نفس المرجع، ج 1، ص9

[36] - الزمر:5.

[37] - ينظر: قواعد التدبر ص13

[38] - ينظر: قواعد التدبر ص19

[39] - ينظر: قواعد التدبر ص27

[40] - التوبة: الآية 41

[41] - ينظر: قواعد التدبر ص28

[42] - الطارق: الآية 9

[43] -هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم: (254 - 322 هـ = 868 - 934 م) وال، من أهل أصفهان. من كبار الكتاب. كان عالما بالتفسير ، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير، أربعة عشر مجلدا، جمع

سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الفخر الرازي. ينظر: الأعلام للزركلي ج6 ص50.

[44] - محمد : الآية 31

[45] - ينظر: تفسير الرازي ج31 ص122

[46] - ينظر: قواعد التدبر ص32

[47] - الأنعام :38

[48] - الروم: 58

[49] - ينظر:قواعد التدبر ص40

[50] - النساء :82

[51] - ينظر: قواعد التدبر ص82

[52] - النساء: 78

[53] - ينظر: قواعد التدبر ص83

[54] - البقرة : 2

[55] - يونس : 37

[56] - فصلت : 41-42

[57] - ينظر: المدخل الى الدراسات القرانية مَبَادِى تَدَبَرَ القُرآن وَالإِنْتِفَاعِ بِهِ أَضْوَاء عَلَى وُجُوهِ الإِعجَازِ وَالعُلُومِ القُرآنية لِلعلامة الإمام السيد ابي الحسن علي الحسني الندوي ١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ دارابن كثير دمشق – بيروت,ص22

[58] - الأنعام : 114

[59] - الأعراف: 52

[60] - يونس: 37

[61] - يوسف:111

[62] - ينظر: المدخل الى الدراسات القرانية ص28

[63] - الفرقان : 1

[64] - البقرة:256

[65] - الأنفال :37

[66] - الأنفال : 32

[67] - الحجر :9

[68] - المائدة :48

[69] - المائدة : 15-16

[70] - إبراهيم: 1-2

[71] - ينظر: المدخل الى الدراسات القرانية ص 31

[72] - ينظر: قراءة في فكر أعلام الأمة رحلة في منهجية طه جابر العلواني التيجاني عبد القادر حامد مركز الإسلام في العالم المعاصر بجامعة شناندوا - فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية Center for Islam in the Contemorary World at Shenandoah University - Virginia, United States of America الطبعة الأولى : أبريل ٢٠٢٢-04-62-955653-1-978 :ISBN ص84

[73] - ينظر: قراءة في فكر أعلام الأمة رحلة في منهجية طه جابر العلواني التيجاني عبد القادر حامد,ص82

[74] - ينظر: قراءة في فكر أعلام الأمة رحلة في منهجية طه جابر العلواني,ص87

[75] - نفس المرجع